السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول
الدواعي وحصولها لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين
هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى **وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها** يعني وكما
وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون
جعلنا في مكة اكابر وعظماء كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا الا انه لا يتم المعنى بل في الاية تقديم
وتاخير تقديره كذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين الاكابر لانهم اقدر على المكر والغدر
وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما جعل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في
كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم **ليمكروا فيها** قال ابو عبيدة المكر
الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل
قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلسوا على كل طريق من طرق مكة ان يصرفوا
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا
مكرهم **وما يمكرون الا بانفسهم** يعني وما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم
وما يشعرون يعني ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل **واذا جاءتهم اية قالوا**
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا
فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه
فانزل الله هذه الاية واذا جاءتهم اية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام او كلاهما ومن وافقهما على الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها
وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكرهم انهم قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم
ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين
والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى
يوحى الينا ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا
ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى والقول الاول اصح لانهم طلبوا ان
يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله **الله اعلم حيث يجعل رسالاته**
يعني ان الله تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس لها باهل وانتم
لستم لها باهل ولان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل
المعاني الابلغ في تصديق الرسل الا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه
عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى اعلم بمن يستحق
الرسالة فجعلها في يتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائهم وقوله
تعالى **سيصيب الذين اجرموا صغار** يعني ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه
فيه **عند الله** يعني هو من عند الله وقيل معناه ان هذا الصغار ثابت لهم **عند الله** وعلى هذا
القول انما يحصل لهم الصغار في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم
في الدنيا **وعذاب شديد** يعني في الاخرة **بما كانوا يمكرون** يعني انما حصل لهم هذا الصغار والهوان

والعذاب

جعلنا في كل اية اكابر وعظما امر اكابر

والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقونه قوله تعالى **فمن يرد الله ان**
يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح الله صدره فانشرح يعني وسعه لقبول الايمان
والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر
مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل
الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسالة اذا كانت مشكلة
فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه يقال للكافر شرح الكافر بالكفر صدرا
اي فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيعرف بذلك النور
الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به
من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به
واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه
الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح
له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت اخرجه الطبري عن ابن مسعود قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نزلت هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ما حقيقة ذلك قال اذا دخل النور
القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل لقاء الموت **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا** يعني يجعل صدره
ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس فيه للخير منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله
اشمأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح لذلك وقرئ عن عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي
من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية
ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير واصل الحرج الضيق وهو
ماخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وعن ابن عباس هذه الاية
فقال اهاهنا احد من بني بكر فقال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي
لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات
وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح وشرحه فيقبل ما اودع فيه من الايمان بالله
ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى قلب
صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الاية دليل على ان
جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى **كانما يصعد في السماء**
يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون
المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان
يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي من
الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء **كذلك يجعل الله الرجس** الله
على الذين لا يؤمنون الكاف في كذلك نعت للتشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم
كجعله صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما
قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس وفي رواية ابن عباس ان الرجس الشيطان وقال الزجاج
الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما** يعني وهذا
الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)